الرافدين

مجلة فصلية مصورة تعنى بالآثار والتراث

العدد السابع – السنة الثانية 1990

الفوانيس

موسوعة فصلية مصورة تعنى بالاثار والتراث

صاحبها ورئيس تحريرها

محمد سعيد الطريحي

الكوفة
Kufa Academy

أكاديمية الكوفة

هولنده

Kufa Academy

ادب الامام علي ونهج البلاغة

بقلم حسين بستانه

. . . كان امير المؤمنين بحق امير البيان تطاوعه الالفاظ الشاردة وتنقاد اليه المعاني المستعصية فيلبسها من جميل نسجه وبديع وشيه اثوابا محبرة ويخرجها في نسق عجيب هو بعد كلام الله ورسوله شرفاً ومنزلة . وبحسبك ان تفتح لنفسك ابواب المسرة ببدائع بيانه ، وتسرح النظر في روائع كلامه فترى النضار كيف يسبك والاسباط كيف تعقد والجواهر كيف تنضد . بل استغفر الادب فمن اين لهذه المقيمات المادية ما يؤهلها للاقتران بتلك النفحات القدسية وذلك المعين السلسل . والروح الخالد الذي سيبلى الزمان ولا يبلى ما دام في الناس طالب للادب وراغب للحكمة .

ما الذي مكن لعلي ان يكون اديباً متفوقاً

سؤال يعترض الباحث في الادب العلوي فلا بد من الاجابة عليه :

. . . ولد علي في مكة مألف قريش ومنبت البلاغة وينبوع الفصاحة ومهبط الوحي .

ومكة دون ما حرم ، ذات الاثر الفعال في توحيد اللهجات وتقريب العبارات وتنسيق الالفاظ ، وجعل اللغة بالكيفية التي كانت فيها صالحة لنزول القرآن الكريم حجة البلاغة ، ونبراس الهدى ؛ يضاف الى ذلك : ان علياً من بيت الرئاسة الهاشمية في صميمها ؛ حفيد عبد المطلب وسليل ابي طالب ، ترعرع بين جد وقور ؛ وعمومة مهابة ؛ وخئولة رصينة ؛ وأب وأم لم يعرف الحنان صدرين ارحب من صدريهما ؛ وهؤلاء كلهم أهل لسن وذرابة ، انحدرت اليهم البلاغة من آبائهم ، وانحدرت عنهم البلاغة من آبائهم ، وانحدرت عنهم الى ابنائهم . فاذا عدوت الدم ، وجانبت عوامل الوراثة ، وصفحت عن تأثير البيئة ؛ وقعت على عامل مهم ، اثر في تربية علي وفي تهذيبه ؛ الا وهو فخر الكائنات رسول الله (ص)

جاء في الخبر ان قريشاً اصابتها ازمة فقال الرسول (ص) لعميه حمزة والعباس ، الا نحمل ثقل ابي طالب في هذا المحل فجاءوا اليه وسألوه ان يدفع اليهم ولده ليكفوه امرهم ؛ فقال : دعو لي عقيلا وخذوا من شئتم . فاخذ العباس طالباً ؛ واخذ حمزة جعفراً ؛ واخذ (ع) علياً ،

فكان علي في حجره منذ السن السادسة ؛ يجد في صدره رحابة ابي طالب ؛ وحنان فاطمة بنت اسد بن هاشم يأخذ عنه ؛ ويتدرب عليه . مأخوذاً من قبله بتأديب المرشد المشفق . وتعليم المعلم الحاذق . حتى اذا بلغ اشده صيره كاتبه . يدون الوحي المنزل عليه . ويكتب عهوده . وينسخ كتبه . فليس بدْعاً ان يكون علي بعد ذلك عباب البلاغة الذي لا يسبر غوره . ولا تدرك شطآنه ؛ وينبوع الحكمة المستمد من الوحي الالهي والفيض النبوي : وحي القرآن وسيرةمحمد (ص) وتأديبه .

ما اثر عنه مما انتجته عبقريته

جمع اهل الادب من مأثور الامام عليه السلام :

١ ـ نهج البلاغة .

٢ ـ الف كلمة جمعها ابن ابي الحديد في آخر شرحه لنهج البلاغة .

٣ ـ مجموعة حكم وامثال عدتها ٢٧٨ حكمة .

٤ ـ غرر الحكم ودرر الكلم . مجموعة حكم جمعها ورتبها على حروف الهجاء عبد الواحد بن محمد بن عبد الواحد الآمدي .

٥ ـ حكم جمعها ابو الفضل الميداني في آخر كتابه مجمع الامثال ذكر بعضها في نهج البلاغة .

٦ ـ سبعة عشر مثلا شرحها الميداني وهذه المجموعات الاربعة في مجلد واحد المستشرق (كورنيليوس فان) مع ترجمة وشروح الاتينية طبعها في اكسفورد سنة ١٨٠٦ م

٧ ـ دستور معالم الحكم . كتاب جمعه محمد بن سلامة القضاعي المتوفى بمصر سنة ٤٥٤ هـ ، وهو كتاب حوى حكماً ووصايا واجوبة وادعية وبعض الشعر والخطب نشره محمد سعيد الرافعي سنة ١٣٣٢ هـ .

٨ ـ نشر الاب لويس شيخو بعض الحكم لعلي نقلاً عن مخطوطة قديمة يرتقي عهدها الى سنة ٧٢٧ هـ .

٩ ـ نشر السيد احمد رضا خطباً ومواعظ واقوالا لعلي لم تنشر في نهج البلاغة .

١٠ ـ يوجد لعلي خطب واقوال متفرقة في كتب الادب والتاريخ كالبيان والتبيين والعقد الفريد ومروج الذهب وعيون الاخبار والكشكول وتاريخ الطبري وغيرها .

١١ ـ «كتاب المئة» وهو مئة كلمة اختارها من كلامه عليه السلام الاديب الكبير امين نخله طبع بمطبعة العرفان . صيدا سنة ١٣٤٩ هـ

١٢ ـ ديوان شعر نسب اليه . لان اكثر ما فيه لا يدل على انه له .

قيمة ادب الامام

الواقع ان قيمة الأدب قيمة معنوية تقيمها الافهام المدربة تدريباً ادبياً ، والدرايات الملمة بكثير مما روى عن الخطباء النابهين والشعراء المجيدين ، والمقاول الذربين من خطب واشعار وامثال وكلمات ورسائل . وتُناقش تلك الفهوم والدرايات بفضل ما اكتسبه من تدريب ومرانة ما يصل اليها من المرويات وبمقاييس لا حيدة عنها تعرف نضار الكلام من زائفه وصريحه من هجينه وفاصله من مفضوله . تلك المقاييس هي عرض الكلام على قواعد الاعجاز المعروفة مع لحظ ما فيه من ابداع في الابانة ومن جميل الغرض ومقدار ما انطوت عليه تلك الابانة من عقائل المعاني واعيانها ، ونحن حين ندرس على هذا الضوء ادب الامام في خطبة الجامعة ، وحكمه الناجعة ، وامثاله السائرة ، وكلماته المحكمة ، وكتبه النادرة ، وادعيته البالغة ، ومواعظه الحكمية وملحة النادرة ، وما تصح نسبته اليه من الشعر ؛ نجد انفسنا في مواقف من التجلة والتبجيل تدفعنا الى مسايرة السابقين من علماء الادب والاذعان لحكمهم : ان كلامه كرم الله وجهه دون كلام الرسول صلى الله عليه وسلم .

★

وبحسبك ان تسرح الطرف بمأثورة فترى رأينا فيه لانك ستراه ، اذا استنهض أو نصح ، أو حاجج ، لم يدع من سمات الدراية ، وحجج البصير ؛ ونصائح الشفيق ؛ ودوافع الهمم . شيئاً الا وعاه واحصاه ، بلسان ذرب ورأي حصيف . فاذا دعا الله في تبتله ؛ ورجاه للاعتصام به ، خفض جناح الذل له ، واحسن الثقة به ؛ فدعاه دعوة الساخر من دنياه ، المعتز بآخرته ؛ وما خبر ضرار عنه بسر : فقد روي ان معاوية سأله عن امير المؤمنين فقال : لقد رأيته في بعض مواقفه وقد ارخى الليل سدوله ؛ وهو قائم في محرابه قابض علي لحيته ؛ يتململ تململ السليم ؛ ويبكي بكاء الحزين ، ويقول : يا دنيا يا دنيا اليك عني ، ابي تعرضت ام الي تشوقت ، لا حان حينك هيهات غري غيري ، لاحاجة لي فيك ، قد طلقتك ثلاثاً ، لا رجعة فيها ، فعيشك قصير ، وخطرك يسير واملك حقير ، آه من قلة الزاد وطول الطريق ؛ وبعد السفر وعظيم المورد .

ولعل من عجيب مما كان يدعو به الله تعالى قوله :

اللهم اني اعوذ بك ان افتقر في غناك ، أو اضل في هداك ، أو اظلم في سلطانك ، أو اضطهد والامر اليك . اللهم اجعل نفسي اول كريمة تنتزعها من كرائمي ، واول وديعة تسترجعها من ودائع نعمك عندي .

هذه ادعيته فاذا ارسل الحكمة أو المثل : اهتزت لها النفوس الاريبة ، وسعى بها الدهر يحملها حلية في تاجه ليعيرها من شاء التزين بها أو التلمح من ادباء الزمان ، وسيبلى الزمان ويبقى ادب علي فيما يبقى ثمرة لا مقطوعة ولا ممنوعة .

التعريف بنهج البلاغة

نهج البلاغة ديوان خطب الامام ورسائله وحكمه ومواعظه ووصاياه جمعه سليل المجد نقيب الاشراف الطالبيين في بغداد السيد الشريف الرضي الموسوي عليه الرحمة في سفر جليل القدر كان ولم يزل عدة الادباء وزاد الخطباء ومورد الحكماء ومشرع اهل اللسن والبلاغة كافة . على امثلته يحتذون وبه يستعينون ومنه يقبسون تجملا بغراته واحتجاجاً بآياته وتملحاً بمبادهاته . وتشرفاً بعباراته واقتداء بعظاته . لذلك تناوله الفضلاء بالشرح والتبسيط رجاء ان يرفعوا الافهام الى مستواه ويقفوا المتأدبين على فحواه . ولعمر الادب ما ادرك شارح كنهه ولا سبر غوره ولا وفاه مادح قدره .

على ان العلامة عز الدين عبد الحميد بن هبة الله المدائني المعتزلي الشهير بابن ابي الحديد المتوفى سنة ٦٦٦ هـ شرحه شرحاً مستفيضاً في كتاب يقع في عشرين جزءاً جعلها في مجلدات اربع .

الاوهام الحائمة حول النهج

يشك كثير من الناس في نهج البلاغة هل هو لعلي عليه السلام أو هو من وضع الشريف الرضي ، وقد نحله اياه أو نحله بعضه . وساقوا في معرض الشك مزاعم يصوح بها النظر السليم والاستقراء الحكيم ويقوضها سلطان المنطق وشواهد الاحوال . ولكي تقرع الحجة بالحجة فتطلع على براءة الشريف مما بهت به ، أجد من الانسب ان اتلو على اسماعكم جملة ما تأتي فيه الشبه ثم اعقب بما اراه مفنداً تلك الشبهات :

وجدوا من المانع ان يكون النهج لعلي :

١ ـ خلو كتب الادب من اكثر ما في النهج من خطب .

٢ ـ كثرة الخطب .

٣ ـ ورود بعض الافكار الفلسفية والتصوفية في بعض الخطب مما لا تصح نسبته الى عصر الامام بزعمهم .

٤ ـ ان بعض الخطب منسوبة في غير النهج الى آخرين .

٥ ـ ورود كثير من الآراء السياسية والادارية والقضائية في قول مشبع مع الاطالة كما في عهد الاشتر النخعي .

٦ ـ التعريض ببعض الصحابة كما في الشقشقية .

٧ ـ ان الخطب المطولة لا يمكن حفظها وروايتها .

٨ ـ اصطباغ بعض الخطب بالفاظ اصطلاحية عرفت في علم المنطق والتوحيد وسائر العلوم التي عرفت بعد عصر الامام

٩ ـ تناوله بعض الحيوانات الحقيرة بالوصف الدقيق كما في وصف الخفاش

١٠ ـ تفشي الصناعة اللفظية من سجع وجناس وطباق ومقابلة في كثير من الخطب .

هذه جملة الشبهات التي اوردوها وللرد عليها نقول :

١ ـ ان خلو كتب الادب من اكثر خطب النهج لا ينهض دليلا على ان تلك الخطب غير واردة عنه كرم الله وجهه . لان تلك اقتصرت على ما يقتضيه موضع الشاهد من خطب علي وغيره وقد فعلت كذلك فيما جاءت به من خطب الرسول (ص) والخلفاء الراشدين (رض) وسائر البلغاء .

٢ ـ ان كثرة الخطب كان بالنسبة لكثرة الاغراض والدواعي التي احاطت الامام ؛ فان ظروفه السياسية واللاجتماعية والعسكرية والاخلاقية كانت تدعوه الى ان يعظ ويزهد ويحمس ويعهد ويدبر وهذه كلها تحتاج الى كلام اكثر مما جاء في النهج وفعلا كان . فقد روى المسعودي المتوفى قبل مولد الشريف ان مجموع خطب الامام اربعمائة ونيف وثمانون خطبة كان يوردها على البديهة .

٣ ـ ان اشتباههم في ورود بعض الافكار الفلسفية والصوفية في بعض الخطب مما لا تصح نسبته الى عصر الامام كلام لا يصدق لأن من يقرأ النهج لا يجد فيه نظرية يحتاج في معرفتها الى استقراء ودرس خاص كما نبه الى ذلك العالمان الجليلان الاستاذ أحمد زكي صفوة في كتابه «علي بن ابي طالب» والعلامة الشهر ستاني في كتابه «ما هو نهج البلاغة» وكل ما هناك حكم وامثال ارسلها بطبعه لتهذيب الاخلاق واستبقاء الطاعة وسل سخائم الاطماع والاحقاد .

٤ ـ ان نسبة بعض خطب النهج الى غير علي في بعض الكتب لا يبعد ان يكون من خطأ الرواة أو من اصطناعهم ؛ حكى الجاحظ المتوفى سنة ٢٥٥ هـ في كتابه البيان التبيين قال :

قالوا لما حضرت معاوية الوفاة قال لمولى له من بالباب ؟ قال نفر من قريش يتباشرون بموتك فقال ويحك ولم ؟ قال : لا ادري قال : فوالله ما لهم بعدي الا الذي يسوءهم وأذن للناس فدخلوا عليه فحمد الله واثنى عليه ثم خطبهم اوردها الجاحظ وعقبها بقوله : «وفي هذه الخطبة ابقاك الله ضروب من العجب منها ان هذا الكلام لا يشبه السبب الذي دعاهم من أجله معاوية ومنها ان هذا المذهب من تصنيف الناس والاخبار عنهم وعماهم عليه من القهر والاذلال ومن التقية والخوف اشبه بكلام علي وبمعانيه واشبه بحالة منه بحال معاوية ومنها : اننا لم نجد معاوية في حال من الحالات يسلك في كلامه مسلك الزهاد ولا يذهب مذاهب العباد وانما نكتب لكم ونخبر بما سمعناه والله اعلم باصحاب الاخبار وبكثير منهم» .

يبدو للسامع ان الجاحظ شاء ان يقول ان الرواه نحلوها معاوية هذا مع العلم ان الجاحظ لا يتحيز لعلي لانه كان ناصبياً عثمانياً .

٥ ـ ان اشباع القول كما في عهد الاشتر لم ينفرد به علي وليس هو مما لم يعرف في عصره فقد اوصى عمر بن الخطاب (رض) ابا موسى الاشعري بكتابه اليه حين ولاه البصرة بمثل ما عهد به علي للاشتر النخعي .

٦ ـ ان الشقشقية ليس فيها ما يمنع ان تكون لعلي اما التعرض فيها لبعض الصحابة ـ رضوان الله عليهم ـ فانه لم يكن سببا وانما كان من باب ما يفعله الزعماء اليوم من انتقاد بعضهم سيرةَ البعض وسياسته . يؤيد ذلك ان الشقشقية لم يخطب بها في حفل عام وانما كانت في مجلس خاص . ونحن اذا نظرنا من هذا الوجه نرى ان مثل الشقشقية او اشد قد سبق صدوره من ابي بكر وعمر رضي الله عنهما الى علي رضي الله عنه وفي رده عليهما في الرسائل التي تحملها ابو عبيدة . فليرجع اليها في عصر المأمون على ان نقد علي لسياسة الشيخين قد وردت ضمناً حين طلب اليه ان يقبل البيعة . قبل عثمان على كتاب الله وسنة رسوله وسيرة ابي بكر وعمر فأبى وقال : بل على كتاب الله وسنة رسوله واجتهاد رأيي . ونحن حين نمعن في تعابير الشقشقية لا نجد مساغاً لاحد ان يطعن في صحة نسبتها الى عصر الامام وذلك لما يبدو عليها من تعابير البادية واساليب الخطب المعروفة في عصره كقوله (لشد ما تشطرا ضرعيها) وقوله (فصاحبها كراكب الصعبة ان اشنق لها خرم وان اسلم لها تقحم) واستشهاده ببيت الاعشى :

شتان ما يومي على كورها ويوم حيان اخي جابر

واختتامها بقوله : (ولوجدتم دنياكم هذه ازهد عندي من عفطة عنز) .

يضاف الى ما تقدم انه اذا صح لمتأخر أن يصنع كلاماً يسلك به مسلك الامام فمن أين يأتي بالتأثر والثورة والغضب ثم ان الذي ينفي الشك تماماً ان هذه الخطبة رويت باوجه واسانيد مختلفة اوردها العلامة الشهرستاني في كتابه «ما هو نهج البلاغة» كلها تستمد من مرجع واحد هو ابن عباس . فلو كان صانعها الرضى لنقلت عن نهج البلاغة بوجه واحد في كل الكتب الادبية .

٧ ـ ان طول الخطب لا يمنع من حفظها وذلك لان اللغة الفصحى كانت فطرتهم وان الرواية كانت عمدتهم لقلة علم الجمهور بالكتابة لذلك كان الواحد منهم يحفظ الى حدود العجب . حكى صاحب الاغاني قال ان ابن عباس قد حفظ قصيدة ابن ابي ربيعة :

(امن آل نعم انت غاد فمبكر) بقراءة واحدة . وقد مر ان ابا عبيدة قد حفظ رسائل ابي بكر وعمر وعلي في ظرف واحد وهذه لا يقل عن اطول خطبة مما في النهج . ولو كان حفظ الخطب يستعصي لكان الشك واجباً في كل ما حفظ من خطب النبي والراشدين والحجاج وزياد وغيرهم من اهل الجاهلية والاسلام .

٨ ـ ان اتيان بعض الالفاظ من مصطلحات التوحيد والمنطق في خطبه هنا وهناك لا يصلح أن تكون مانعاً من اسناد تلك الخطب لعلي لان تلك المصطلحات الفاظ عربية تقوم بمعناها اللغوي فما المانع من استعمالها من قبله ونقلها الى الاصطلاح في عصر الاصطلاح علي أعلم الناس بمواقع اللفظ من المعنى وان التوحيد فكرة الدين الذي تربى في حضانة صاحبه وان المنطق بما فيه من قياس واستدلال ومقدمات من ذهنية العرب وفطرتهم . وقد جاءت اشكاله في

تعابيرهم وان لفظة صغرى وكبرى وموضوع ومحمول وحد ودليل وتصديق وتصور وما شاكلها الفاظ تقوم بمعناها اللغوي قبل الاصطلاحي ، فاذا وردت في كلام أحد من المتقدمين فلا يعني ان كلامه منحول في عصر الاصطلاح . وفي القرآن الكريم الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه استدلالات منطقية هي خير شاهد على ما نقول : قال جل من قائل .

فلو علم الله فيهم خيراً لاسمعهم . ولو اسمعهم لتولوا .

وقال : وشهد شاهد من اهلها ان كان قميصه قد من قبل فصدقت وهو من الكاذبين وان كان قميصه قد من دبر فكذبت وهو من الصادقين . وقال : لو كان فيهما آلهة الا الله لفسدتا . وقال : وما معه من آله . اذاً لذهب كل اله بما خلق ولعلا بعضهم على بعض .

ثم ان المتتبع لخطب الزهاد ومواعظهم في العصر الأول يجدها غير خارجة عن آفاق خطب الامام من حيث المقاصد والالفاظ فهل كانت خطب اولئك مصطنعة عليهم أيضاً .

٩ ـ ان تناول النهج بعض المخلوقات الحقيرة بالوصف الدقيق لا يستبعد صدوره عن الامام لأن الناظر في تلك الخطب يجد أن الوصف فيها لم يجيء لذاته وإنما جاء به على سبيل الموعظة وتعظيم الخالق . وتلك طريقة في الوعظ تعلمها على القرآن الكريم . قال تعالى :

«واوحى ربك الى النحل ان اتخذي من الجبال بيوتاً ومن الشجر ومما يعرشون ثم كلي من كل الثمرات فاسلكي سبل ربك ذللا يخرج من بطونها شراب مختلف الوانه فيه شفاء للناس ان في ذلك لآية لقوم يتفكرون» (النحل) وقال : فبعث الله غرابا يبحث في الأرض ليريه كيف يواري سوءة أخيه . قال يا ويلنا اعجزت ان اكون مثل هذا الغراب فأواري سوءة اخي (المائدة) وقال عز من قائل : ان الله لا يستحي ان يضرب مثلا ما بعوضة فما فوقها (البقرة) الخ . .

فما المانع بعد هذا ان يضرب علي مثلا بالخفاش وهو المنشأ في أدب القرآن الكريم كما اسلفنا .

هذا من جهة الموضوع اما اذا كان الشك آتياً من ناحية دقة الوصف واخراج الصور كأنها شاخصة للعيان فذلك مما يأتي به العربي فطرة . روي عن عبد الرحمن بن حسن بن ثابت ان زنبوراً لسعه في طفولته فجاء يشكو حاله الى ابيه فقال : لسعني طوير كأنه ملتف في بردي حبرة . وقد ورد الوصف الدقيق في القرآن الكريم على ابهى مثال واروع تصوير قال تعالى :

والذين كفروا اعمالهم كسراب بقيعة يحسبه الظمآن ماء حتى اذا جاءه لم يجده شيئاً ووجد الله عنده فوفاه حسابه او كظلمات في بحر لجي يغشاه موج من فوقه موج من فوقه سحاب ظلمات بعضها فوق بعض اذا اخرج يده لم يكد يراها (النور) وقال في خلق الانسان : فجعلناه نطفة في قرار مكين ثم خلقنا النطفة علقة فخلقنا العلقة مضغة فخلقنا المضغة عظاماً فكسونا العظام لحماً ثم انشأناه خلقاً آخر فتبارك الله احسن الخالقين «المؤمنون» وقال تعالى :

واتل عليهم نبأ الذي اتيناه آياتنا فانسلخ منها فاتبعه الشيطان فكان من الغاوين ولو شئنا لرفعناه بها ولكنه اخلد الى الارض واتبع هواه فمثله كمثل الكلب ان تحمل عليه يلهث او تتركه يلهث ذلك مثل القوم الذين كذبوا بآياتنا فاقصص القصص لعلهم يتفكرون . (الاعراف).

هذا وصف الله سبحانه على سبيل الموعظة . فما الذي يمنع عليا من ان يحتذيه وهو ربيب من نزل عليه هذا القرآن .

١٠ ـ ان الصناعة اللفظية من سجع وطباق وجناس ومقابلة وغير ذلك وان كانت تُعمل فيها في عصور المتأخرين من أيام بني العباس بحيث اصبحت صناعة يتدرب عليها المنشئون فانها غير مبتدعة في السبك العربي كي يوجب وجودها في النهج الشك في كونه لعلي .

قال شيخ علماء البلاغة ابو هلال العسكري في كتاب الصناعتين (فهذه انواع البديع التي ادعى من لا رواية ولا دراية عنده ان المحدثين ابتكروها وان القدماء لم يعرفوها وذلك لما اراد ان يفخم امر المحدثين . لأن هذا النوع من الكلام اذا سلم من التكلف وبريء من العيوب كان في غاية الحسن ونهاية الجودة). انتهى كلامه .

ولكي نسوق الشاهد المؤيد لرأي هذا الاستاذ الجليل نقول : ان القرآن الكريم حجة البلاغة ومعجزتها وان كان خارجاً عن ان يوصف بسجع او ترسل او صناعة فقد جاء حافلاً بالمحسنات على اسمى مثال . فمن السجع اللطيف المتسلسل قوله تعالى :

والنجم اذا هوى وقوله : يا أيها المدثر . بل هناك سور مسجوعة بكاملها مثل سورة (الاعلى) سبح اسم ربك الاعلى الى قوله صحف «صحف ابراهيم وموسى» ومثل الشمس . والشمس وضحاها الى قوله ولا يخاف عقباها ومثل سورة الليل والقدر والناس وغيرها .

ثم ان السجع قد كان فاشياً في كلام الصدر الأول وانما الذي نهى عنه الرسول «ص» هو سجع الكهان لأنه عبارة عن هذيان لا غير . يؤيد لنا ذلك ما رواه ابو هلال العسكري عن الرسول قال : كان «ص» ربما غير الكلمة عن وجهها للموازنة بين الالفاظ واتباع الكلمة اخواتها . كقوله «ص» «اعيذه من الهامة والسامة وكل عين لامة وانما اراد ملمة وقوله عليه السلام : ارجعن مأزورات غير مأجورات وانما اراد موزورات من الوزر فقال : مأزورات لمكان مأجورات قصداً للتوازن وصحة التسجيع».

اما المطابقة والجناس والتقابل من انواع البديع فاستمع اليها في القرآن واعتبر ان مجيئها في كلام علي لا يعني انه منحول في عصر الشريف او غيره فمن الجناس الوارد في القرآن قوله تعالى : ويوم تقوم الساعة يقسم المجرمون ما لبثوا غير ساعة (الروم). وقوله وهم ينهون عنه وينأون عنه (الانعام). ذلكم بما كنتم تفرحون في الارض بغير الحق وبما كنتم تمرحون (المؤمن) ومن الطباق قوله (وتحسبهم ايقاظاً وهم رقود) ـ الكهف ـ. هل يستوي الاعمى والبصير ام هل تستوي الظلمات والنور (المؤمن). وهو الاول والآخر والظاهر والباطن (الحديد). وقوله قل

اللهم مالك الملك تؤتي الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء وتعز من تشاء وتذل من تشاء «آل عمران». ومن التقابل قوله تعالى : فاما من اعطى واتقى وصدق بالحسنى فسنيسره لليسرى «الليل».

وبعد فهذه ادلة جامعة وحجج قاطعة بان النهج لم ينتحل وانه لامير المؤمنين عليه السلام هذا اذا سلبنا الثقة عن الشريف وصرفنا البصر عن عفته التي اكبرت شأنه في التاريخ فدونها اهل الخبر صفة بارزة في مزاياه العديدة عليه رحمة الله .

وبعد ان سقت البرهان على ان النهج لعلي ارى من الامانة للادب ان ادون ملحوظات اخرى اراها .

اولها ان الشريف لو شاء ان ينحل علينا شيئا لنحله ديوان شعره او بعض شعره وهو ليس باغلى ولا اثمن من خطب نهج البلاغة .

ثانيها ان الشريف وغيره من الشيعة لو صنع نهج البلاغة على علي لما أبّن فيه عمر بن الخطاب «رضي» في الخطبة المشهورة لله بلاد فلان . ولو عبث فيه واحد منهم لما ابقى هذه الخطبة وعبث في غيرها .

ثالثها ورد في بعض عباراته مثل لفظة ازل وازلية وهذه لم تعرف في كلام العرب . قال الزمخشري في اساس البلاغة : قولهم كان في الازل قادراً عالما وعلمه ازلي وله الازلية . مصنوع ليس من كلام العرب . وكأنهم نظروا في ذلك الى لفظ الازل . ومثل هذا يقنعني بانه قد حشي في مواضعه بعد الشريف لما يذكر من ان الشريف لم يكن اقل معرفة باللغة من الزمخشري فحتى لو وقع منه انتحال نهج البلاغة لم يسقط هذا السقوط اللغوي وهو يضع قولا عن علي لذلك اذا قررنا بانه وقع في النهج مما ليس للامام فانه لا يعدو مثل هذه التحشيات التي يدركها العارف باساليب التعبير العربي .

الملحوظة الرابعة : ان الاوهام والشكوك في صحة ان يكون النهج لامير المؤمنين هي غارة يشنها اعداء تراثنا الادبي من شعوبي الغرب والشرق على نهج البلاغة قديماً وحديثاً . حدث صديقي الدكتور زكي مبارك في كتابه النثر الفني ج ١ ص ٦٩ قال : وقد أراد المسيو ديمومبين ان يغض من قيمة ما نسب الى علي بن أبي طالب من خطب ورسائل استناداً الى ما شاع منذ ازمان من ان الشريف الرضي هو واضح كتاب نهج البلاغة اما نحن فنتحفظ في هذه المسألة كل التحفظ لان الجاحظ يحدثنا أن خطب علي وعمر وعثمان كانت محفوظة بمجموعات ومعنى هذا ان خطب علي كانت معروفة قبل الشريف . انتهى كلام الدكتور .

وليعلم ان هذه الشكوك جاءت في الزمن الغابر من طريق غير لا حب كما يفيد ابن أبي الحديد في شرحه . وآخر اعتقادي ان هذه الشكوك ولدتها وخزات الصدور والبغضاء التي كانت تضمر للشريف وستبلى دون شك ويبقى الحكم للادب المحض .